جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة : الأولى

المادة : الأدب العربي قبل الإسلام

عنوان المحاضرة : الشعراء الفرسان (عامر بن الطفيل)

مدرس المادة : أ.م.د. بشّار سَعْدي إسْمَاعِيل

نماذج من سير الشعراء الفرسان في عصر ما قبل الاسلام

عامر بن الطفيل العامري:

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة، وهو ابن عم لبيد الشاعر الجاهلي المشهور، وبذلك فعامر ينتمي إلى اسرة الزعماء والسادة في قبيلته القوية الكبيرة، فليس غريبا أن يطمح إلى الزعامة، وأن ينافس عليها كما حدث بينه وبين ابن عمه علقمة بن علاثة في منافرتهما المشهورة التي تركت آثارها في دواوين الأعشى والحطيئة ولبيد ولقد تجاوز طموح عامر قبيلته، فقد روى في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن عامرا طالبه حين وفد عليه بأن يقاسمه زعامة الأمة فيترك له البدو ويكون للنبي (صلى الله عليه وسلم) المدن والحواضر، فلما رفض النبي ذلك هدده عامر بالحرب، ويروى أنه مرض في طريق عودته من المدينة ومات، وهذا الخبر يحدد المدة الزمنية التي عاش فيها عامر، وهي المدة الجاهلية القريبة من الاسلام .

ولد الشاعر بعد يوم شِعب جبلة ، كما تذكر كتب التراجم ، وعامر بن الطفيل يعد في طليعة فرسان الجاهلية الشجعان ، وهو نفسه يعلن في شعره أنه ولد فارسا مقاتلا فهو يسمي نفسه ابن حرب إذ يقول :

وانا ابن حرب لا أزال أشبها سعرا و أوقدها إذا لم توقد

ويقول أيضا :

لقد تعلم الحرب أني ابنها وأنــي الهمام بها المعلم

ولأن فروسيته عنده هي أهم ما يملكه ، فهو يقرر أنه بها يستحق أن يسود قبيلته ، وإن كان صاحب النسب الرفيع الذي يؤهله لهذا الأمر ، غير أنه يأبى أن يسود قومه إلا بفروسيته المشهود له بها إذ يقول :

إني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المندوب في كل موكب

فما سودتني عامر عن قرابة أبى الله أن اسمو بأم ولا أب

ولكنني احمي حماها واتقي أذاها وارمي من رماها بمنكب

وفي شعر عامر تسجيل صريح لمعاركه المنتصرة والخاسرة ، فشجاعته في القتال اوجدت في نفسه الشجاعة الأدبية التي تسهل له الاعتراف لأعدائه بأنهم انتصروا عليه إذ يقول :

لعمري وما عمري عليّ بهين لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

لبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا جبانا فما عذري لدى كل محضر

وقد علموا أني أكر عليهم عشية فيف الريح كر المدور

فنجده يسجل على نفسه طعنة مسهر التي شوهت وجهه وذهبت بعينه ، وأنه كان عاقرا وأن نفسه حدثته بالفرار وأن النصر في النهاية كان للأعداء .

وهو يذكر في أبيات أخرى أن بعض رفاقه عصوا امره وأن نتيجة ذلك كانت فشل الغزوة وأنه لم يسلم من مؤاخذة قومه إذ يقول :

ولو أني أطعت لكان مني لمدرك اكلب يوم طويل

يلومني الذين تركت خلفي ويعصيني الذين بهم اصول

والحماسة غرض صريح فيه الكثير من العنف، وهو أمر متوقع في شعر الفرسان الذين يمارسون القتال ويعيشون على مقربة من المعارك وابطالها وضحاياها ويبدو هذا العنف في شعر عامر في صوره التي توحي بالثأر والانتقام المليئة بالتشفي والتلذذ بما يصيب الأعداء من قتل وسبي إذ يقول:

لقيناهم ببيض مرصفات نقتلهم بها حتى ابيدوا

وأردفنا نساءهم وجئنا وقد دميت من الخمش الخدود

وقوله أيضا :

تركت نساء ساعدة بن مرّ لهن لدى مزاحفه عويل

ومثل هذه الصور كثير كثرة واضحة في شعر عامر، وربما كان ذلك معبرا عن عنف في شخصيته فضلا عما في غرض الحماسة من العنف المعتاد ، على أن في حماسة عامر جوانب أخرى ينبغي الوقوف عندها، فهو مثلا يصف سلاحه باعتداد واعجاب ، بل يعده أهم ما يملك على الإطلاق إذ يقول :

يوم لا مال للمحارب في الحرب سوى نصل أسمر عسّال

ولجام في رأس أجرد كالجذع طوال وابيض قصال

اسمر عسّال: رمح أسمر يهتز لمرونته . قصال: بتار. دلاص: درع لينة ملساء صافية

وللفرس مكان خاص في شعر عامر، فهو رفيق المعركة الحي الذي يفهمها ويشارك الفارس مشاعره فيها فهو يتحدث عن فرسه ويرسم له صورة رائعة في واحدة من معاركه، وفي واحد من أيام العرب الذي خاضه مدافعا عن قبيلته وهو يوم فيف الريح، إذ اضطر عامر إلى الانسحاب أمام عدو يفوق قومه عددا ولكن بعد قتال عنيف إذ يقول :

وقد علم المزنوق أني أكره عشية فيف الريح كر المشهر

إذا ازور من وقع الرماح زجرته وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر

وانبأته أن الفرار خزية على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر

فهو يجري حوارا بينه وبين فرسه، والحقيقة أن هذا الكلام موجه إلى النفس كما هو موجه إلى الفرس فالفارس وفرسه أصيلان لهما أعراق مجيدة تطالبهما بالبسالة وتمنعهما من الفرار .

وهكذا نرى أن عمر بن الطفيل يحشد هذه المعاني الحربية، والروح الشجاعة له ولقومه في أشعاره التي تحس فيها أن المعركة تضطرب وتموج بالأبطال من بني عامر واعدائهم، فكانت أشعاره بحق صورة معبرة من صور الفروسية العربية الحربية والقتالية التي عرفتها الجزيرة العربية قديما.